

سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام

اﻟﻤﻨﻪ ﻟﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺃﻧﯘﺍﺧﺪ ﺑﻤﺎ ﻧﻘﻮﻝ ﻗﺎﻝ ﺗﻜﻠﺘﻚ ﺃﻣﻚ ﻭﻫﻞ ﻳﻜﺐ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻋﻠﻰ ﻣﻨﺎﺧﺮﻫﻢ ﺇﻻ ﺣﺼﺎﻧﺪ ﺃﻟﺴﻨﺘﻬﻢ ﻭﻗﺎﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻣﻦ ﻛﺎﻥ ﻳﯘﻣﻦ ﺑﺎﻟﻠﻪ ﻭﺍﻟﻴﻮﻡ ﺍﻻﺧﺮ ﻓﻠﻴﻘﻞ ﺧﻴﺮﺍ ﺃﯞ ﻟﻴﺼﻤﺖ ﻭﺍﻻﺣﺎﺩﻳﺚ ﻓﻴﻪ ﻭﺍﺳﻌﻪ ﺟﺪﺍ ﻭﺍﻻﺋﺘﺎﺭ ﻋﻦ ﺍﻟﺴﻠﻒ ﻛﺬﻟﻚ ﻭﺍﻋﻠﻢ ﺃﻥ ﻓﻀﻮﻝ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻻ ﺗﻨﺤﺼﺮ ﺑﻞ ﺍﻟﻤﻬﻢ ﻣﺤﺼﻮﺭ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺏ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺣﻴﺚ ﻗﺎﻝ ﻻ ﺧﻴﺮ ﻓﻲ ﻛﺜﻴﺮ ﻣﻦ ﻧﺠﻮﺍﻫﻢ ﺇﻻ ﻣﻦ ﺃﻣﺮ ﺑﺼﺪﻗﻪ ﺃﯞ ﻣﻌﺮﻭﻑ ﺃﯞ ﺇﺻﻼﺡ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻭﺃﻓﺎﺗﻪ ﻻ ﺗﻨﺤﺼﺮ ﻓﻌﺪ ﻣﻨﻬﺎ ﺍﻟﺨﻮﺹ ﻓﻲ ﺍﻟﺒﺎﻃﻞ ﻭﻫﻮ ﺍﻟﺤﻜﺎﻳﻪ ﻟﻠﻤﻌﺎﺻﻲ ﻣﻦ ﻣﺨﺎﻟﻄﻪ ﺍﻟﻨﺴﺂ ﻭﻣﺠﺎﻟﺲ ﺍﻟﺨﻤﺮ ﻭﻣﻮﺍﻗﻒ ﺍﻟﻔﺴﺎﻕ ﻭﺗﻨﻌﻢ ﺍﻟﺄﻏﻨﻴﺎﺀ ﻭﺗﺠﺒﻴﺮ ﺍﻟﻤﻠﻮﻙ ﻭﻣﺮﺍﺳﻤﻬﻢ ﺍﻟﻤﺬﻣﻮﻣﻪ ﻭﺃﺣﻮﺍﻟﻬﻢ ﺍﻟﻤﻜﺮﻭﻫﻪ ﻓﺈﻥ ﻛﻞ ﺫﻟﻚ ﻣﻤﺎ ﻻ ﻳﺤﻞ ﺍﻟﺨﻮﺹ ﻓﻴﻪ ﻓﻬﺬﺍ ﺣﺮﺍﻡ ﻭﻣﻨﻬﺎ ﺍﻟﻐﻴﺒﻪ ﻭﺍﻟﻨﻤﻴﻤﻪ ﻭﻛﻔﻰ ﺑﻬﻤﺎ ﻫﻼﻛﺎ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﻭﻣﻨﻬﺎ ﺍﻟﻤﺮﺍﺀ ﻭﺍﻟﻤﺠﺎﺩﻟﻪ ﻭﺍﻟﻤﺰﺍﺡ ﻭﻣﻨﻬﺎ ﺍﻟﺨﺼﻮﻣﻪ ﻭﺍﻟﺴﺐ ﻭﺍﻟﻔﺤﺶ ﻭﺑﺬﺍﺀﻪ ﺍﻟﻠﺴﺎﻥ ﻭﺍﻟﺴﺘﻬﺰﺍﺀ ﺑﺎﻟﻨﺎﺱ ﻭﺍﻟﺴﺨﺮﻳﻪ ﻭﺍﻟﻜﺬﺏ ﻭﻗﺪ ﻋﺪ ﺍﻟﻐﺰﺍﻟﻲ ﻓﻲ ﺍﻟﺤﻴﺎﺀ ﻋﺸﺮﻳﻦ ﺃﻓﻪ ﻭﺫﻛﺮ ﻓﻲ ﻛﻞ ﺃﻓﻪ ﻛﻼﻣﺎ ﺑﺴﻴﻄﺎ ﺣﺴﻨﺎ ﻭﺫﻛﺮ ﻋﻼﺝ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻓﺎﺕ ﺑﺎﺏ ﺍﻟﺘﺮﻫﻴﺐ ﻣﻦ ﻣﺴﺎﻭﺉ ﺍﻻﺧﻼﻕ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﻫﺮﻳﺮﻩ ﺭﻛﻀﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ﻗﺎﻝ ﻗﺎﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺇﻳﺎﻛﻢ ﻭﺍﻟﺤﺴﺪ ﻓﺈﻥ ﺍﻟﺤﺴﺪ ﻳﺄﻛﻞ ﺍﻟﺤﺴﻨﺎﺕ ﻛﻤﺎ ﺗﺄﻛﻞ ﺍﻟﻨﺎﺭ ﺍﻟﺤﻄﺐ ﺃﺧﺮﺟﻪ ﺃﺑﻮ ﺩﺍﻭﺩ ﻭﻻﺑﻦ ﻣﺎﺟﻪ ﻣﻦ ﺣﺪﻳﺚ ﺃﻧﺲ ﻧﺤﻮﻩ ﺇﻳﺎﻛﻢ ﺿﻤﻴﺮ ﻣﻨﺼﻮﺏ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺘﺤﺰﻳﺮ ﻭﺍﻟﻤﺤﺰﺭ ﻣﻨﻪ ﺍﻟﺤﺴﺪ ﻭﻓﻲ ﺍﻟﺤﺴﺪ ﺃﺣﺎﺩﻳﺚ ﻭﺃﺋﺎﺭ ﻛﺜﻴﺮﻩ ﻭﻳﻘﺎﻝ ﻛﺎﻥ ﺃﻭﻝ ﺫﻧﺐ ﻋﺴﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﺑﻪ ﺍﻟﺤﺴﺪ ﻓﺈﻧﻪ ﺃﻣﺮ ﺇﺑﻠﻴﺲ ﺑﺎﻟﺴﺠﻮﺩ ﻻﺩﻡ ﻓﺤﺴﺪﻩ ﻓﺎﻣﺘﻨﻊ ﻋﻨﻪ ﻓﻌﺴﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﻄﺮﺩﻩ ﻭﺗﻮﻟﺪ ﻣﻦ ﻃﺮﺩﻩ ﻛﻞ ﺑﻼﺀ ﻭﻓﺘﻨﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﻋﻠﻰ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻭﺍﻟﺤﺴﺪ ﻻ ﻳﻜﻮﻥ ﺇﻻ ﻋﻠﻰ ﻧﻌﻤﻪ ﻓﺈﺫﺍ ﺃﻧﻌﻢ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﺃﺧﻴﻚ ﻧﻌﻤﻪ ﻓﻠﻚ ﻓﻴﻬﺎ ﺣﺎﻟﺘﺎﻥ ﺇﺣﺪﺍﻫﻤﺎ ﺃﻥ ﺗﻜﺮﻩ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﻨﻌﻤﻪ ﻭﺗﺤﺐ ﺯﻭﺍﻟﻬﺎ ﻭﻫﺬﻩ ﺍﻟﺤﺎﻟﻪ ﺗﺴﻤﻰ ﺣﺴﺪﺍ ﺍﻟﺜﺎﻧﻴﻪ ﺃﻥ ﻻ ﺗﺤﺐ ﺯﻭﺍﻟﻬﺎ ﻭﻻ ﺗﻜﺮﻩ ﻭﺟﻮﺩﻫﺎ ﻭﺩﻭﺍﻣﻬﺎ ﻟﻪ ﻭﻟﻜﻨﻚ ﺗﺮﻳﺪ ﻟﻨﻔﺴﻚ ﻣﺜﻠﻬﺎ ﻓﻬﺬﺍ ﻳﺴﻤﻰ ﻏﺒﻄﻪ ﻓﺎﻻﻭﻝ ﺣﺮﺍﻡ ﻋﻠﻰ ﻛﻞ ﺣﺎﻝ ﺇﻻ ﻧﻌﻤﻪ ﻋﻠﻰ ﻛﺎﻓﺮ ﺃﯞ ﻓﺎﺟﺮ ﻭﻫﻮ ﻳﺴﺘﻌﻴﻦ ﺑﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﺗﻬﻴﻴﺞ ﺍﻟﻔﺘﻨﻪ ﻭﺇﻓﺴﺎﺩ ﺫﺍﺕ ﺍﻟﺒﻴﻦ ﻭﺇﻳﺬﺍﺀ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻓﻬﺬﻩ ﻻ ﻳﻀﺮﻙ ﻛﺮﺍﻫﺘﻚ ﻟﻬﺎ ﻭﻻ ﻣﺤﺒﺘﻚ ﺯﻭﺍﻟﻬﺎ ﻓﺈﻧﻚ ﻟﻢ ﺗﺤﺐ ﺯﻭﺍﻟﻬﺎ ﻣﻦ ﺣﻴﺚ ﻫﻲ ﻧﻌﻤﻪ ﺑﻞ ﻣﻦ ﺣﻴﺚ ﻫﻲ ﺃﻟﻪ ﻟﻠﻔﺴﺎﺩ ﻭﻭﺟﻪ ﺗﺤﺮﻳﻢ ﺍﻟﺤﺴﺪ ﻣﻊ ﻣﺎ ﻋﻠﻢ ﻣﻦ ﺍﻻﺣﺎﺩﻳﺚ ﺃﻧﻪ ﺗﺴﺨﻂ ﻟﻘﺪﺭ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺣﻜﻤﺘﻪ ﻓﻲ ﺗﻔﻀﻴﻞ ﺑﻌﻀ ﻋﺒﺎﺩﻩ ﻋﻠﻰ ﺑﻌﻀ ﻭﻟﺬﺍ ﻗﻴﻞ ﺃﻻ ﻗﻞ ﻟﻤﻦ ﻛﺎﻥ ﻟﻲ ﺣﺎﺳﺪﺍ ﺃﺗﺪﺭﻱ ﻋﻠﻰ ﻣﻦ ﺃﺳﺂﺕ ﺍﻻﺩﺏ ﺃﺳﺂﺕ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﻲ ﻓﻌﻠﻪ ﻻﻧﻚ ﻟﻢ ﺗﺮﻅ ﻟﻲ ﻣﺎ ﻭﻫﺐ ﺗﻢ ﺍﻟﺤﺎﺳﺪ ﺇﻥ ﻭﻗﻊ ﻟﻪ ﺍﻟﺨﺎﻃﺮ ﺑﺎﻟﺤﺴﺪ ﻓﺪﻓﻌﻪ ﻭﺟﺎﻫﺪ ﻧﻔﺴﻪ ﻓﻲ ﺩﻓﻌﻪ ﻓﻼ ﺇﺗﻢ ﻋﻠﻴﻪ ﺑﻞ ﻟﻌﻠﻪ ﻣﺂﺟﻮﺭ ﻓﻲ ﻣﺪﺍﻓﻌﻪ ﻧﻔﺴﻪ ﻓﺈﻥ ﺳﻌﻰ ﻓﻲ ﺯﻭﺍﻝ ﻧﻌﻤﻪ ﺍﻟﻤﺤﺴﻮﺩ ﻓﻬﻮ ﺑﺎﻍ ﻭﺇﻥ ﻟﻢ ﻳﺴﻊ ﻭﻟﻢ ﻳﻈﻬﺮﻩ ﻟﻤﺎﻧﻊ ﺍﻟﻌﺰﺝ ﻓﺈﻥ ﻛﺎﻥ ﺑﺤﻴﺚ ﻟﻮ ﺃﻣﻜﻨﻪ ﻟﻔﻌﻞ ﻓﻬﻮ ﻣﺂﺯﻭﺭ ﻭﺇﻻ ﻓﻼ ﺃﻱ ﻻ ﻭﺯﺭ ﻋﻠﻴﻪ ﻻﻧﻪ ﻻ ﻳﺴﺘﻄﻴﻊ ﺩﻓﻊ ﺍﻟﺨﻮﺍﻃﺮ ﺍﻟﻨﻔﺴﺎﻧﻴﻪ ﻓﻴﻜﻔﻴﻪ ﻓﻲ ﻣﺠﺎﻫﺪﺗﻬﺎ ﺃﻥ ﻻ ﻳﻌﻤﻞ ﺑﻬﺎ ﻭﻻ ﻳﻌﺰﻡ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻌﻤﻞ ﺑﻬﺎ ﻭﻓﻲ ﺍﻟﺤﻴﺎﺀ ﻓﺈﻥ ﻛﺎﻥ ﺑﺤﻴﺚ ﻟﻮ ﺍﻟﻘﻲ ﺍﻟﺄﻣﺮ ﺇﻟﻴﻪ ﻭﺭﺩ ﺇﻟﻰ ﺍﺧﺘﻴﺎﺭﻩ ﻟﺴﻌﻰ ﻓﻲ ﺇﺯﺍﻟﻪ

